

## على الغلاف



# روسيا و«طائراتها»: لا نبحث عن أخصام

حالة الاستنار الدبلوماسي والإعلامي الروسية بعد تحميك موسكو تك أبيب مسؤولية إسقاط مروحيتها مقابل شواطئ اللاذقية خفنت حدّتها مع مرور نهار أمس. روسيا التي توظّف طاقاتها وعلقاتها لحماية ما أسّست له منذ تدخّلها في سوريا في أيلول من عام 2015 لا تبحث عن خصم جديد. تدير الملاقة مع أعداء دمشق وأخصامها على نحو يبيي كعيا العالي في الساحة السورية من دون تحطيم هؤلآء. هذا المسار تظهر على نحو واضح مع تركيا ما بعد إسقاط طائرة السوخوي فوق

# خسارة روسية لا تلغي التفاهمات

المستنق السوري، مع إمكان تكرار مشهد ما بعد الغزو السوفياتي السابق في أفغانستان. مع فساد هذا الرهان، حافظت إسرائيل على توقعات مع تعديلات، من التأكيد على إمكان السيطرة عبر حلفائها على سوريا كاملة، إلى إمكان تشطلي الجغرافيا السورية إلى دويلات، لروسيا إحداها، فيما لإسرائيل إحداها أيضاً.

مع تبدّل الوضع الميداني في سوريا وسقوط الرهانات، اضطرت إسرائيل إلى التراجع عن التوقعات والرهانات الزائدة في إسقاط الدولة السورية، نحو التكيّف الاضطراري مع النتيجة التي تحدّت ميدانيا، وإن عمدت في المقابل إلى تحويل التهديد إلى فرصة، ما أمكنها ذلك.

جزأت تل أبيض التهديدات وعملت على فصلها بين مركبات ثلاث: الوجود العسكري الروسي الذي يمكن معارضته أو التصدي بخدايعات الحادثة ومستواها لأهدافه؛ والدولة السورية التي باتت جزء لا يتجزأ من المصالح الروسية المحصنة؛ أما الجانب الثالث، فهم حلفاء سوريا، وتحديدأ إيران وحزب الله، حيث بات التركيز الإسرائيلي على تهديدهما وتمركزهما، مع محاولة الاشتباك بين الجانبين أو الفصل بينهما والدولة السورية.

الموقف الإسرائيلي تجاه روسيا كان مركباً. من ناحية، رأت وما لا تزيد عن الزام إسرائيل، بهامش أضيق من «حرية الحركة» الجوية والصاروخية، فوق السماء السورية؛ وإذا كان إسقاط الطائرة من شأنه أن يعقد العلاقة بين الجانبين، لكنها ليست سبباً للقطعية أو للاحتراب. في ذلك، تتحمل موسكو استعداد الدولة السورية بأخرى طيبة و«معتدلة». من ناحية ثانية، تتخاضى عن اعتداءات إسرائيل في الحد الذي باتت يدها «رخوة» الخنازل عن جزء من الرهانات، كانت إسرائيل تتحمل الجزء الأكبر والمباشر منها. مع ذلك، لا يستنقم أي تقدير لاثي، نتيجة لهذا التطوّر من دون العودة إلى العلاقة التي تجمع وتدير مصالح الجانبين. علاقة منعت تصادمهما حتى الآن، كما تدفعهما لاحتواء أي تصادم عرضي، نحو الأسوأ.

العلاقة الروسية – الإسرائيلية في الساحة السورية هي علاقة تقاهم تقضي إلى تمكين كل جانب من تحقيق مصالح سوريا، من دون أن يتعرض لمصالح الجانب الثاني.

تقاهم خدم الجانبين طويلاً، وإن كان الأكثر استفادة هو الجانب الروسي، على رغم الانطباع الخاطي حول الاستفادة الإسرائيلية الأكبر، نتيجة صورة الهجمات وضجيجها المضطبي إلى خطا في التقديرات.

وكانت إسرائيل قد راهنت عام 2015، كما غيرها في المحور الأخر، أن روسيا ستسارع إلى الهرب من

حقلت موسكو إسرائيل مسؤولية إسقاط الطائرة الروسية ومقتل من كان على متنها خلال اعتدائها الأخير على مدينة اللاذقية. في موازاة تأكيد روسي على حق الرد تجاه الضلع الإسرائيلي غير المسؤول، الامر الذي عدّ خطاباً قد يفضي إلى تطوّر خطير لاحق، وإن كان التقدير في نظرة ابتدائية، لا يشير إلى تازم وإمكان الاشتباك، بل واهي تغيير جدي، في العلاقة بين الجانبين

### يحيى دبوغ

أسئلة ما بعد إسقاط الطائرة الروسية، من ناحية نظرية، قد لا تنتهي. لكن الأهم والحاضر على طاولة كل الأطراف المؤثرة والمتأثرة في الساحة السورية، يتعلق بخدايعات الحادثة ومستواها لأهدافه؛ والدولة السورية التي باتت جزء لا يتجزأ من المصالح الروسية المحصنة؛ أما الجانب الثالث، فهم حلفاء سوريا، وتحديدأ إيران وحزب

الله، حيث بات التركيز الإسرائيلي على تهديدهما وتمركزهما، مع محاولة الاشتباك بين الجانبين أو الفصل بينهما والدولة السورية.

الموقف الإسرائيلي تجاه روسيا كان مركباً. من ناحية، رأت وما لا تزيد عن الزام إسرائيل، بهامش أضيق من «حرية الحركة» الجوية والصاروخية، فوق السماء السورية؛ وإذا كان إسقاط الطائرة من شأنه أن يعقد العلاقة بين الجانبين، لكنها ليست سبباً للقطعية أو للاحتراب. في ذلك، تتحمل موسكو استعداد الدولة السورية بأخرى طيبة و«معتدلة». من ناحية ثانية، تتخاضى عن اعتداءات إسرائيل في الحد الذي باتت يدها «رخوة» الخنازل عن جزء من الرهانات، كانت إسرائيل تتحمل الجزء الأكبر والمباشر منها. مع ذلك، لا يستنقم أي تقدير لاثي، نتيجة لهذا التطوّر من دون العودة إلى العلاقة التي تجمع وتدير مصالح الجانبين. علاقة منعت تصادمهما حتى الآن، كما تدفعهما لاحتواء أي تصادم عرضي، نحو الأسوأ.

العلاقة الروسية – الإسرائيلية في الساحة السورية هي علاقة تقاهم تقضي إلى تمكين كل جانب من تحقيق مصالح سوريا، من دون أن يتعرض لمصالح الجانب الثاني.

تقاهم خدم الجانبين طويلاً، وإن كان الأكثر استفادة هو الجانب الروسي، على رغم الانطباع الخاطي حول الاستفادة الإسرائيلية الأكبر، نتيجة صورة الهجمات وضجيجها المضطبي إلى خطا في التقديرات.

وكانت إسرائيل قد راهنت عام 2015، كما غيرها في المحور الأخر، أن روسيا ستسارع إلى الهرب من

ريف اللاذقية. وصولاً إلى تفاهمات أسانا. هذه الملاقة ابضت على دور انقرة، لكنها اضدت لاعبا ثانويًا مقارنة بموسكو. ومع إسرائيل أيضاً. لم تقف موسكو في وجه ما تعتبره تك أبيب خطوطا حمرا في ما يخص «التمركز الإيراني» و«نقل سلاح كاسر للتوازن إلى لبنان». لكنها حصلت. بالتعاون مع حلفائها. خطوطا حمرا لم تكن مواتية في السنين الأولى من الحرب: إسقاط الرئيس السوري ودمشق. كذلك، استطاعت دمشق أن ترسم مسار تحرير جزء ضخم من المدن والارياف رغم التهديدات الأميركية والإسرائيلية والتركية. عمليا، وبالعودة إلى عدوان أول من أمس وتداعياته، فإن

على أعدائها في سوريا، والتي هي في الأساس مقلصة من حيث النتيجة. هذا ما تخشاه إسرائيل، وعثرت عنه بالأمس، بل وكان مدار أبحاث ودراسات صدرت في العامين الماضيين في تل أبيب، حيال النقطة التي تدفع روسيا إلى تحويل وتغيير سياساتها تجاه إسرائيل.

قد تكون ظاهرياً بدت هذه النقطة قريبة جداً في الأمس، لكنها جاءت في توقيت ومرحلة ما زال «شبه الختام» ضرورة للطرفين، على تفصيل يطول.

رابعاً، كان لافتاً شبه الصمت الإسرائيلي، ومحاولة الاكتفاء بالبيان العسكري كما صدر عن جيش العدو من دون إضافات تذكر. أي الاكتفاء بالاعراب عن «الأسف» وليس التخلّي عن مصدر قتلى روس، والعمل ضمن دبلوماسية و«تشاطر» كلامي، على تحميل سوريا وإيران وحزب الله، المسؤولية الكاملة عن إسقاط الطائرة، حتى مع الإنابات أن الفعل العدائي هو إسرائيلي.

باتي ذلك في موازاة حراره، قبل أنه فاعل جداً من وراء الكواليس، لاحتواء الحادثة والتطلع إلى ما بعدها. لا خلاف أن إسرائيل معنية بتجاوز هذه الأزمة ومعاودة استئشاف الأجندة الموضوعية للساحة السورية، فيما الكرة الآن في الملعب الروسي الذي بإمكانه أن يبقئ أو يقلص أو ينهي التفاهمات بين الجانبين، وإن كان التقدير أن الموقف الإسرائيلي في «مفاوضات» ما وراء الكواليس» في تموضع دفاعي، في محاولة لمخ تقلص هامش مناوراتها في سوريا، مقابل تموضع هجومي روسي، يقدر أنه سيعمد إلى الحد من هامش هذه المناورة والحد منها، لكن من غير المتوقع إنهائها بالمطلق في هذه المرحلة.

الوقائية الحمائية التي لا تسمح بتكرار الحادثة أو ما يشابهها، الإجراءات التي ستفرضها موسكو في مرحلة تازم علاقات أو تعارض مصالح حتى التشابك، أو نتيجة الفوائض أو لجهة المديات الجغرافية والحزامات الأمنية حولها. تكرار الخطأ مرفوض من قبل الجانبين، وقد يفضي إلى ما لا يريدانه، وهو ما ستحرص عليه إسرائيل، إلى حد التظرف في تطيقه.

ثالثاً، الواضح، تأسيساً على النقطة الأولى، أن هامش حرية العمل الإسرائيلي ستكون مقيدة، وفي حد ادنى جغرافياً، مع تقليص مساحة السورية، في إحصاء الزامي، في القدرة على استخدام جزء من وسائلها القتالية التي تحمل في ذاتها خطراً وتهديداً على الوجود الروسي، وإن نظرياً. هذا يعني تقلص إمكانات إسرائيل، وإن سببياً، في القدرة على فرض إرادتها

بعد ساعات قليلة على الاعتداء الصاروخي الذي طاول مواقع عسكرية في محيط مدينة اللاذقية أول من أمس، تحوّل الاهتمام نحو إنشاء اختفاء طائرة استطلاع روسية كانت في أجواء الساحل السوري. الخبر الذي نقلته بداية وسائل إعلام روسية عن مصادر عسكرية، أشار إلى وجود 4 مقاتلات حربية إسرائيلية قرب الطائرة، وصدو إطلاق صواريخ من فرقاطة روسية منتمركزة في شرق البحر المتوسط، من دون تحديد طبيعة تلك الصواريخ.

طيف من الشارح السوري الذي لم يمتد متابعاً تطورات ليلة السابع عشر من أيلول، تلقف حين سقوط الطائرة الروسية، بمزحة عن إصابتها بواحد من صواريخ الدفاع الجوي التي أطلقت بكثافة غير اعتيادية وقتها، قبل أن يخرج تعليق من مصدر عسكري أميركي (غير محدد الاسم) عبر شبكة «CNN» يقول إن الطائرة أسقطت ببنيران «مدفعية مضادة للطائرات» خاصة بالجيش السوري. التحليلات الكثيرة لأسباب الحادثة غطت على أخبار الاعتداء نفسه والمواقع التي استهدفها، ولا سيما بوجود 15 عسكرياً روسياً على متن الطائرة. وبقي هذا الجدل حتى صباح أمس، حين حسمته وزارة الدفاع الروسية عبر بيان أكد سقوط الطائرة بصاروخ من منظومة «S-200» السورية، بعدما استغلت المقالات الحربية الإسرائيلية (من طراز F-16) وجودها لتتخذ الغارات، البيان الروسي كان واضحاً في تحميل إسرائيل مسؤولية هذه الحادثة، مؤكداً أن المقالات اتهمت بالطائرة هرباً من صواريخ الدفاع الجوي، وهو ما أدى إلى إصابة الطائرة وسقوطها في البحر خلال استعدادها

إسرائيل لتتنسيق العمليات الجوية فوق سوريا. إذ أكدت وزارة الدفاع الروسية أن الجاذب الإسرائيلي أبلغ قواتها بالهجوم قبل دقيقة واحدة فقط من بدئه، وهو ما لم يترك مجالاً لإبعاد الطائرة من أجواء العمليات المفترضة، سوء التنسيق هذا، المقصود أو غير المقصود، استدعى سلسلة

طويلة من الاتصالات بين موسكو وتل أبيب، بعد بيان للمخمدت باسم وزارة الدفاع الروسية اعتبر أن ما جرى هو «تصرف عدائي وممارسة لا مسؤولة من قبل الطيارين الإسرائيليين، سببت إيران عسكرياً في سوريا»، مضيفاً أن بلاده «تحتفظ بحق الرد بالإجراءات

## دعم واسع لـ«انتصاف ادلب»

لقي إعلان الاتفاق الروسي - التركي على إنشاء منطقة «منزوعة السلاح» في ادلب ومحيطها، ترحيباً من كل من دمشق وطهران والأمم المتحدة. وأكد مصدر في وزارة الخارجية السورية أن «الاتفاق كان حصيلة مشاورات مكثفة بين الجمهورية العربية السورية والاتحاد الروسي، ويتنسيق كامل بين البلدين، وأشار المصدر إلى أن الاتفاق «مؤطر زمنياً بتوافقت محددة، وهو جزء من الاتفاقيات السابقة حول مناطق خفض التصعيد التي نتجت من مسار أستانا». بدوره، رحب المبعوث الأممي بالاتفاق خلال إحاطة قدمها أمس خلال اجتماع في مجلس الأمن، موجهاً الشكر إلى الرئيسي التركي والروسي على «التزامهما الشخصي بشأن ادلب». أما تركيا، فقد تعهدت على لسان وزير خارجيتها مولود جاويش أوغلو، بأنه «سيجري إخراج المجموعات الإرهابية فقط من المنطقة المنزوعة السلاح، وإخلائها من الأسلحة الثقيلة. لكن الأسلحة الخفيفة ستبقى بأيدي بعض قوات المعارضة المتحذلة».

(الأخبار)

موسكو لت تعتبره مطلقاً «حادثاً عرضياً»، لكنها أيضاً لت تتعامل معه كاعتداء يولد توترًا وخصومة. هي ستظهر ردّ فعلها في غير اتجاه ولا يتصل فقط بتك أبيب. هذه الأخيرة ستبقي (كما أكد رئيس وزارئها أمس) على طبيعة عملها المدواني في الأجواء السورية. أما موسكو فهي ستستفيد من فرصة تعزيز حضورها العسكري «وهذه الخطوات سلاحها الجميم» حسب قول فلاديمير بوتين أمس. وفي هذا السياق، ستكون الرسالة مسموعة في واشنطن على نحو أكبر، فالإدارة الروسية أمامها اليوم «حائط» أساسي تجاه مخططاتها في سوريا يتمكّن بالولايات المتحدة.

# روسيا وإسرائيل: «حق الرد» ثم أسف في تك أبيب... فترطيب أجواء

المناسبة»، وحضرت لهجة ذاتها في كلام وزير الدفاع سيرغي شويغو، في محاكمة هاتفية مع وزير الحرب الإسرائيلي أفغدور ليرمان، إذ أكد أن روسيا «لن تترك مثل هذه التصرفات دون ردّ». ويعد استعداد وزارة الخارجية الروسية للسير الإسرائيلي لدى موسكو، لبحث تطورات الحادثة، ناقش الرئيس فلاديمير بوتين مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، ملابسات الحادثة وتبعاتها عبر الهاتف، ووفق المعلومات التي نقلتها وكالة «تاس» أكد نتنياهو ضرورة تعزيز «التنسيق الميداني» بين روسيا وإسرائيل لـ«تجنب الضخائر لدى الطرفين»، معرباً عن أسفه لسقوط ضحايا في صفوف العسكريين الروس، التوجه نفسه ورد في حديث بوتين، الذي قال في مؤتمر صحفي مع رئيس الوزراء الهنغاري أمس، أن رد موسكو على حادثة سقوط الطائرة سيكون عبر «تعزيز أمن الأفراد والممتلكات الروسية في سوريا، وهذا ما سيلحظه الجميع»، مشيراً إلى أنها جاءت «نتيجة سلسلة من الأحداث المتساوية» ولا يمكن مقارنتها بحادثة إسقاط تركيا لمقاتلة روسية في عام 2015. غير أن الرئيس الروسي أشار خلال الاتصال، إلى أن عمليات سلاح الجو الإسرائيلي في سوريا تعد «انتهاكاً لسيادة الدولة».

الالات في ردود الفعل أمس على الحادثة، كان تساقق التصريحات الأميركية والإسرائيلية في إحماد «النشاطات الإيرانية» على رأس قائمة الأسباب، فمع تأكيد نتنياهو أن إسرائيل مصممة على وقف ترسّخ إيران عسكرياً في سوريا، جاء بيان الجيش الإسرائيلي ليحذل كل من إيران وحزب الله المسؤولي عن إسقاط الطائرة، مبرراً ذلك بأن مقاتلاته كانت تستهدف «منشأة للجيش السوري

في ادلب ومحيطها، ترحيباً من كل من دمشق وطهران والأمم المتحدة. وأكد مصدر في وزارة الخارجية السورية أن «الاتفاق كان حصيلة مشاورات مكثفة بين الجمهورية العربية السورية والاتحاد الروسي، ويتنسيق كامل بين البلدين، وأشار المصدر إلى أن الاتفاق «مؤطر زمنياً بتوافقت محددة، وهو جزء من الاتفاقيات السابقة حول مناطق خفض التصعيد التي نتجت من مسار أستانا». بدوره، رحب المبعوث الأممي بالاتفاق خلال إحاطة قدمها أمس خلال اجتماع في مجلس الأمن، موجهاً الشكر إلى الرئيسي التركي والروسي على «التزامهما الشخصي بشأن ادلب».

وزير خارجيتها مولود جاويش أوغلو، بأنه «سيجري إخراج المجموعات الإرهابية فقط من المنطقة المنزوعة السلاح، وإخلائها من الأسلحة الثقيلة. لكن الأسلحة الخفيفة ستبقى بأيدي بعض قوات المعارضة المتحذلة».

المقاتلة في ليلة 17 أيلول.

(الأخبار)

